

إرهاصات الحركة الوطنية الجزائرية من خلال كتابات أبو القاسم سعد الله 1945-1919

The evidence of the Algerian national movement through the writings of Abu al-Qasim Saadallah 1945-1919

أستاذ مساعد أ. زايدي عز الدين MAA. Zaidi Azzedine azzeddinezaidi@yahoo.fr	تاريخ حديث ومعاصر	جامعة الجيلالي ليابس - سيدي بلعباس - الجزائر
DOI:		

ملخص

تمثل شخصية "أبو القاسم سعد الله" في المشهد التاريخي الجزائري و العالمي، نموذجاً للشخصية الوطنية المناضلة و المساهمة في كتابة تاريخ بلادها. فهو الإنسان في محيطه العائلي، و الباحث المنقّب ذو النظرة الثاقبة و الأفق الواسعة في تشخيص تاريخ بلاده عبر مراحلها المختلفة من الوجود الفرنسي على أرض الجزائر.

لقد تميزت الكتابات التاريخية في مسيرة العلامة "أبو القاسم سعد الله" بالمرحلية والمنهجية من خلال تناوله مواضيع تاريخية و اجتماعية و ثقافية متسلسلة في مؤلفاته العديدة، على غرار مجلدات "الحياة الثقافية" و "الحركة الوطنية الجزائرية" و مجموعة نصوص و محاضرات جمعها في مؤلفه "أبحاث و آراء" إلى جانب مؤلفات عديدة في مسيرته المهنية كأستاذ باحث في جامعة الجزائر و أستاذ زائر في الجامعات العالمية خاصة منها الجامعات الأمريكية.

يأتي اختيارنا لمؤلف "تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية" في ورقتنا العلمية، من منطلق جهده في تثبيت الفكرة الوطنية و اعتبارها ردة فعل منطقية منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر. وكذا من باب مساهمة "سعد الله" في العمل على تأسيس المدرسة التاريخية الجزائرية لمجابهة المدرسة التاريخية الفرنسية التي كانت قد حشدت و جندت كلّ الطاقات البشرية الكفيلة بتبويض وجه فرنسا و تاريخها الاستعماري في شمال إفريقيا و الجزائر على وجه الخصوص.

الكلمات المفتاحية: سعد الله؛ الوطنية؛ باحث؛ الجزائر؛ الاستعمار.

Abstract

The "Abu al-Qasim Saadallah" character represents in the Algerian and international historical scene, a model of the patriotic and militant figure who contributes to writing the history of her country. He is the human being in his family

environment, and the prospective researcher with insight and broad prospects in diagnosing the history of his country through its different stages of French presence on the land of Algeria.

The historical writings in the march of the scholar "Abu Al-Qasim Saadallah" were distinguished by their progress and methodology by dealing with historical, social and cultural issues that are serialized in his numerous works, such as the volumes of "Cultural Life" and "the Algerian National Movement" and a set of texts and lectures he collected in His author is "Research and Opinions", as well as numerous books on his career as a research professor at the University of Algeria and a visiting professor at international universities, especially American universities.

Our choice of the author of "The History of the Algerian National Movement" comes in our scientific paper, out of his effort to confirm the national idea and consider it a logical reaction since the beginning of the French occupation of Algeria. As well as the matter of the contribution of "Saad Allah" in the work of establishing the Algerian historical school to confront the French historical school that had mobilized and enlisted all the human energies capable of bleaching the face of France and its colonial history in North Africa and Algeria in particular.

Keywords: Saadallah ; patriotism ; researcher ; Algeria ; colonialism.

مقدمة

يعتبر "أبو القاسم سعد الله" من المؤرخين الذين كرّسوا حياتهم لخدمة "القضية الوطنية" حيث وضعها في إطارها الزمني لطول مدة الاحتلال الفرنسي للجزائر. وتمثل شخصيته في المشهد التاريخي الجزائري والعالمي، نموذجاً للشخصية الوطنية المناضلة والمساهمة في كتابة تاريخ بلادها. فهو الإنسان في محيطه العائلي، والباحث المناقب ذو النظرة الثاقبة والأفاق الواسعة في تشخيص تاريخ الجزائر عبر مراحل الاحتلال الفرنسي.

كما تميزت حياته العائلية بالحنان والتألف فيما بين أفرادها وبخاصة المحبة الكبيرة التي كان يكتفها لوالديه من خلال ما ورد في الجزء الثاني من كتابه "الحركة الوطنية الجزائرية" أين جاء الإهداء: إلى أمي وأبي.. وهذا ما لا نجده إلا نادراً في الكتب والمراجع الكبرى والتي عادة ما يلجأ أصحابها إلى إهداءات من نوع آخر. وأكثر من هذا، هناك علاقته الخاصة بوالدته والتي عبر عنها أحد الباحثين الجزائريين بأنها علاقة الصبي بأمه طوال مراحل حياته إلى درجة التقديس. (1)

لقد تميزت الكتابات التاريخية في مسيرة العلامة "أبو القاسم سعد الله" بالمرحلية والمنهجية من خلال تناوله مواضيع تاريخية واجتماعية وثقافية متسلسلة في مؤلفاته العديدة، على غرار مجلدات الموسوعة الثقافية "الحياة الثقافية" و "الحركة الوطنية الجزائرية" و مجموعة نصوص و محاضرات جمعها في مؤلفه "أبحاث و آراء" إلى ما تبع من مؤلفات في مسيرته المهنية كأستاذ باحث في جامعة الجزائر وأستاذ زائر في الجامعات العالمية خاصة منها الجامعات الأمريكية.

يأتي اختيارنا لمؤلف "تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية" في ورقتنا العلمية، من منطلق جهده في تثبيت الفكرة الوطنية واعتبارها ردة فعل منطقية منذ بداية الاحتلال الفرنسي للجزائر. وكذا من باب مساهمة "سعد الله" في العمل على تأسيس المدرسة التاريخية الجزائرية لمجابهة المدرسة التاريخية الفرنسية التي كانت قد حشدت وجندت كل الطاقات البشرية الكفيلة بتبويض وجه فرنسا و تاريخها الاستعماري في شمال إفريقيا و الجزائر على وجه الخصوص.

أولاً: القيمة التاريخية لعمل "سعد الله" حول "الحركة الوطنية الجزائرية"

لقد تمّ اختيار هذا المؤلف المتكون من أربعة أجزاء – في نسخته الجديدة- (2) بدافع التعرف على وجهة النظر التي أحاطت بحقبة زمنية هامة من تاريخ الجزائر في مرحلة حساسة تزامنت و الغزو الفرنسي للجزائر سنة 1830. كما تطلعنا هذه الكتب على جوانب أساسية من شخصية كل مؤرخ أو باحث تناول هذه المواضيع، الأمر الذي يجعلنا نتعرف أكثر على الخط المنتهج من طرف هذا الباحث و من ثمّ على ميوله الفكري و حتى الإيديولوجي. إن اختياري لهذه الكتب نابع من رغبة في تسليط الضوء على فصول هامة من تاريخ الحركة الوطنية. بالإضافة إلى ذلك، هناك الأشياء الجديدة التي أضافها المؤرخ في هذه الأجزاء من عمله و التي لم تكن موجودة في الجزأين اللذان كانا متداولان في السابق. (3) الأمر الذي جعله ينزل عند رغبة الكثيرين ممن ألحوا عليه إصدار الجزء الأول لاستكمال العمل الذي شرع فيه منذ زمن بعيد. ولعل القيمة التاريخية لكتب "الحركة الوطنية الجزائرية" تبدأ من هنا! و التي في رأينا ترتكز على محورين أساسيين:

فأما الأول: ينطلق من الرغبة التي كانت تحذو الكاتب في استكمال بحثه حول الحركة الوطنية الجزائرية لإشباع رغبة البعض في رؤية عمل "أبو القاسم سعد الله"

ينتهي و يخرج في أحسن حلة، أو كما قال الباحث، أن ذلك من مقتضيات المنهج و المنطق.(4) زيادة على أنه كان قد خلص في نهاية عمله إلى أن جذور الحركة الوطنية تعود، في الأصل، إلى الصدام الأول مع المحتل الفرنسي بعدما تخلت حكومة "الدّاي" عن الشعب الجزائري. فهو ردّا على كلّ من اعتبر أن الوطنية الجزائرية هي وليدة نهاية الحرب العالمية الأولى.

بينما الثاني: فهو أكثر من ذلك، حيث نرى بأنه لو لم يصدر الجزء الأول من هذا العمل، لبقيت فكرة الوطنية مرتبطة بحقبة 1930-1900، وهي الفترة التي شرع فيها الباحث في إنجاز أطروحة الدكتوراه. وكان "أبو القاسم سعد الله" عنصرا، رغما عنه، في تثبيت فكرة الوطنية الجزائرية انطلاقا من هذا التاريخ و اللحاق بركب مؤرخين كبار من أمثال: "محفوظ قداش" و "محمد حربي" و "آجرون شارل روبير"، الذين يرجعون الخطوات الأولى للعمل الوطني الجزائري بداية من القرن العشرين.

جاء الجزء رقم 1، من الجزء الأول، في فصول أربعة بدأها الباحث من المحاولات الأولى للغزو و التي استعملت فيها فرنسا كلّ معاولها، المارشالات و الجنرالات، من "دي بورمون" و "كلوزيل" و "دي ميشال" و "بيجو" و "فاليه"، و رجال الكنيسة من أمثال الأسقف "دوبوش"، و الجواسيس من أمثال "روش"، و دوقاتهما من أمثال "دومال" و "دومالكوف". (5) و قد بدأها الفرنسيون بطريقة معاملتهم للجزائريين و نقضهم الميثاق الذي أبرموه مع الدّاي عند دخولهم مدينة الجزائر. و ثمّ الشروع في مخطط الهدم و التخريب جراء ممارساتهم العدوانية في طمس معالم المدن الجزائرية و انتهاك حرمة الأملاك و المؤسسات الدينية و منه بداية مخطط التنصير في الجزائر. و تضمن ردّا و مجابهة جزائية، بالرغم من نقص الإمكانيات المتاحة للجزائريين آنذاك، و التي كانت لا تساوي شيئا مقارنة بالترسانة العسكرية التي كانت قد أحضرتها فرنسا لغزو الجزائر لا غير. كما كانت جلّ الفصول تدور حول هذه المواجهة المباشرة مع العدو الفرنسي و التي تمحورت في أقاليم الوسط و الغرب و الشرق من خلال ما عرف بالمقاومات الشعبية. (6) و كان بمثابة التحدي الأكبر لغزو فرنسا للجزائر.

أما الجزء رقم 2، من الجزء الأول و الذي كان من سنة 1860 إلى 1900، فقد جاء هو الآخر في أربعة فصول و بدأه الباحث من زيارات "نابليون الثالث" إلى الجزائر بداية من زيارته الأولى رفقة زوجته سنة 1860 و الذي اضطر إلى توقيفه جراء وفاة

الإمبراطورية. ثم كانت الزيارة الثانية في شهر ماي من سنة 1865 و التي دامت أكثر من شهر وعرفها على أنها بداية تاريخ "المملكة العربية" في الجزائر. (7)

ثم يعرج الباحث على التحولات المحلية و التي جاءت استمرارا للمقاومات الأولى على شاكلة انتفاضات شعبية من القبائل والأعراش "كأولاد سيد الشيخ" و "المقراني" و ثورة "بوشوشة" و قضية "العربي المملوك" في وادي سوف و انتفاضة "الأوراس" إلى جانب انتفاضات بعض الطرق الصوفية كأمثال "السنوسية" و "الرحمانية". كل هذا يضاف إليه دور المرابطون و رجال الدين، منهم الرسميون و الموظفون و قضية القضاء الإسلامي و فصله عن القضاء الفرنسي. ولعل أبرز ما جاء في هذا الجزء هو مجموعة القوانين الجائرة التي أصدرتها الإدارة الاستعمارية الفرنسية في حق الجزائريين و من أبرزها "قانون الأهالي" و قانون "وارني" و قانون إنشاء الحالة المدنية في الجزائر. (8)

ختم الباحث عمله في هذا الجزء باستعراضه لحركات الاحتجاج السلمية و تقديم العرائض من طرف الشخصيات الجزائرية إلى الحكام الفرنسيين في الجزائر و إلى المسؤولين الكبار في فرنسا. كما تحدث عن لجنة التحقيق التي أقرتها فرنسا سنة 1891 للتحري عن أوضاع الجزائر و تحديد مستقبل هذه المستعمرة في أعين الدولة الفرنسية. كما تدعمت المنظومة الاستعمارية بدعائم الإستشراق و الترجمة و البحث من أجل بسط سيطرتها على بلاد الجزائر. و مواجهة بوادر النهضة الجزائرية و انتشار الوعي الوطني، التي كانت تلوح في الأفق بمبادرة و من الجامعة الإسلامية. (9) بينما تعرض "سعد الله" في الجزء الأخير من عمله إلى فترة حساسة من تاريخ الجزائر في ظروف الاحتفالات الفرنسية بمرور قرن من الزمن على احتلالها للبلاد و عن فترة الحرب العالمية الثانية التي كانت نقطة تحول هامة في العمل السياسي الجزائري و في ظهور البوادر الأولى للوعي عند الجزائريين من خلال تسارع ظهور الأحزاب و الجمعيات الأمر الذي أدى إلى ظهور التكتلات داخل المشهد السياسي الجزائري. كما مثلت أحداث الثامن ماي 1945 القطيعة الكبرى بين الإدارة الاستعمارية و ما بقي من الأحزاب التي كانت تطمع في وفاء فرنسا بوعودها.

لعل أهم مراحل تضمينها هذا المؤلف هي تلك التي تخص موضوع دراستنا في هذا البحث و المرتبطة بفترة حساسة من تاريخ الجزائر الاستعماري و هي الفترة الممتدة من نهاية الحرب العالمية الأولى إلى غاية اندلاع الثورة التحريرية. هذه الفترة هامة كونها

غطت أحداث و محطات بارزة كان لها وقع كبير على مستقبل الشعب الجزائري و الأحزاب السياسية المناضلة في الجبهة السياسية الداخلية.

ثانيا: "سعد الله" و الحياة السياسية في الجزائر مع مطلع القرن العشرين

حاول "سعد الله" في هذا الباب التوفيق بين ما تضمنته الطبقات السابقة من أخطاء، و التي صدرت في لبنان و مصر، و بين إلحاحه على دمج البحث بين ما قدمه في أطروحة الدكتوراه، التي لم تكن حسبه ضمن مخططات سلسلة كتب الحركة الوطنية الجزائرية باعتبار أنها لم تكن سوى مشروع حينما ناقش "سعد الله" أطروحة دكتوراه سنة 1969. (10) لذلك لم يحاول مراعاة ربطه بما كتب من قبل أو حتى من بعد لما تقتضيه ضرورة البحث. غير أنه عكف على رسم الخطوط العريضة لهذا العمل العلمي، و في جوانب عدة، ليضعنا في صورة ما كان يحدث فعلا في الجزائر من تحولات عميقة على الصعيدين السياسي و الاجتماعي على وجه الخصوص.

رسم لنا "سعد الله" صورة حية عن الأوضاع التي كانت عليها فرنسا في مطلع الثلاثينات، في ظروفها الداخلية، داخل المتروبول، و في علاقاتها مع جيرانها الأوروبيين، و أخيرا ظروف مستعمراتها فيما وراء البحار و خاصة منها الجزائر، التي بحكم التشريع الفرنسي فهي جزء من التراب الفرنسي. بعدها ينتقل إلى الوضع الإداري للجزائر الذي انتقل من نظام عسكري إلى نظام مدني منذ سنة 1871 و عهد الجمهورية الثالثة، و اختصت به المناطق الشمالية فقط، (11) بينما المناطق الجنوبية بقي فيها النظام العسكري سائدا. و يرى "سعد الله"، أن احتفالات فرنسا بالذكرى المئوية لاحتلالها الجزائر، سنة 1930، تميزت بالصخب و مظاهر التفاخرية بالحدث، (12) بالرغم من مواجهتها مشاكل سياسية و اقتصادية داخلية. (13) لم يكن سوى الشجرة التي تغطي الغابة و أن الحقيقة كانت في الوجه الحقيقي الذي أظهره الاستعمار الفرنسي في الوقوف و الحد من نشاطات التشكيلات السياسية الجزائرية. تلك هي بداية السياسة الفرنسية في الجزائر من خلال وضعها لجملة من المشاريع و التدابير كانت تهدف إلى استمالة الشعب الجزائري ليواكب هذه المشاريع و يبتعد عن مناصرة و دعم زعماء الحركة الوطنية الذين كانوا يشكلون خطرا على مصالح فرنسا و مستقبلها في الجزائر.

يذكرنا "سعد الله" بالمشروع الذي طغى على الحياة السياسية خلال هذه الفترة و المتمثل في تقديم "موريس فيوليت" لمشروعه الإصلاحية أمام البرلمان الفرنسي الذي رفضه بحجة تعارضه مع مصالح الكولون. غير أن هذا لم يمنع الجزائريين من تقدير موقف "فيوليت" الذي حضى باحترام جَلّ الطبقة السياسية الجزائرية. (14)

بالرغم من اختلاف شعورها و تعدّد مواقفها من هذا المشروع إلا أن الطبقة السياسية الجزائرية كانت متفقة على نقطة هامة وهي عدم وضع "فيوليت" في الحسبان "الشعور الوطني الجزائري" من قضية ظلت تراوده طول مدة الاحتلال وهي، قضية ربط الجزائر بفرنسا إلى الأبد و بشقّ الطرق. الأمر الذي لم يدخل أبدا في حسابات التشكيلات السياسية الجزائرية على غرار "النجم" و "العلماء". كما كان موقف "الكولون" من هذا المشروع واضحا على اعتبار أنهم قاموا بكلّ ما في وسعهم لإجهاضه. و حققوا مبتغاهم لما وضع "دلاديه"، رئيس الحكومة الفرنسي، حداً له سنة 1938. (15) غير أن الذي يمكننا احتسابه لصالح "فيوليت" هو إصراره على الدفاع على مشروعه إلى النهاية رغم كلّ الاعتراضات التي وقفت حاجزا أمام المشروع. (16)

لم يكن مشروع "فيوليت" هو الوحيد الذي جاء لحلّ مشاكل الجزائر في هذه المرحلة، و إنما هناك مشاريع أخرى ذكر منها المؤرخ: مشروع "فيرنوت" الذي نوقش في مجلس الشيوخ. و هناك برنامج أو مشروع "كوطولي" (نائب ولاية قسنطينة في برلمان فرنسا) و مشروع "دوروكس" (نائب ولاية العاصمة). و لكنّ كلّ هذه المشاريع لم تلقى الشهرة التي لقيها مشروع "فيوليت"، على الأقل بين الجزائريين، لأنّه اقترح دمج النخبة الجزائرية في المجتمع الفرنسي مع بقائهم على أحوالهم الشخصية الإسلامية. و في المقابل، وجدت السلطات الاستعمارية متسعا لسنّ قوانين ردعية التي وجدت فورا مجالا للتنفيذ. خاصة لما تعاضم نشاط "العلماء" بين الناس، الأمر الذي انزعجت منه الإدارة الفرنسية التي راحت تفكّر في الطّرق التي ستمكّنها من وضع حدّ لهذا النّشاط.

أمّا قانون "ميشال" (باسم صاحبه الذي كان يشغل منصب الشؤون الأهلية و الكاتب العام لولاية الجزائر) الذي وقّع في 16 و 18 من فبراير 1933 في شكل منشورين، فإنّه جاء عبارة عن تعليمات إدارية و جّهت إلى رجال الأمن و الإدارة الفرنسية في شتى مناطق البلاد تطلب فيها مراقبة "العلماء" و التضييق عليهم و منعهم، بكل الوسائل، من أداء

مهمتهم الدينية بحجة أنهم يروجون للمبادئ "الوهابية" و المذهب الشيعي و أنهم ضد الوجود الفرنسي في الجزائر.

أما قرار "رينيه"، الذي كان يشغل منصب وزير الداخلية، فجاء في سياق ما كانت تأمل به الطبقة الاستعمارية بأكملها. فهو وقف ضد أي إصلاحات جديدة في الجزائر، واعتبر أن إصلاحات سنة 1919 قد أوفت بكل ما يمكن لفرنسا أن تقدمه للجزائريين، وهدد كل من يطالب بالمزيد من الإصلاحات بأقصى العقوبات. من هنا نفهم أن هدف فرنسا الاستعمارية هو فرض هيمنتها على الشعب الجزائري بمنطق القوة.

ثالثا: عصارة جهده الفكري لخدمة القضية الوطنية.

كرّس "سعد الله" كلّ طاقته الفكرية لخدمة قضية واحدة وهي القضية الوطنية التي شغلت فكره طوال عقود من الزمن. وكانت له نظرة موضوعية في تحليله للأحداث التي طالت المشهد السياسي و الاجتماعي الخاص بالجزائريين من ذلك أنه تطرق إلى عناصر منفصلة عن بعضها البعض لكنها تلتقي في النهاية لتشكّل الصرح الكبير الذي أطلق عليه اسم "الحركة الوطنية الجزائرية".

في حديثه عن "النخبة" و "النواب"، يواصل "أبو القسم سعد الله" في توضيحه للمفهومين ما قدّمه في كتابه الأول و بنفس التحليل في إعطاء صورة مزدوجة عنهما. و في نظر الكاتب، كما كانت هناك نخبتان قبل سنة 1930 وجدت أيضا نخبتان بعدها. (17) فالنخبة التي وجدت بعد الثلاثينات انقسمت إلى نخبة تؤمن بالمساواة مع الفرنسيين (من خلال تبنيها لمشروع فيوليت)، و نخبة أخرى تؤمن بأصالة الشعب الجزائري في دينه و عرويته كما وضعته جمعية العلماء (الإسلام ديني، العربية لغتي، الجزائر وطني). غير أنه في كل هذا بقي النجم (و فيما بعد حزب الشعب) في قناعته بأن الخلاص لن يكون إلا إذا قبلت فرنسا بكل شروط الطبقة السياسية الجزائرية. وكما هو مشاع، فإن الشيوعيين ساروا على قاعدتهم المعروفة في محاولة تمسّكهم بالعمّال سواء في فرنسا أو في الجزائر.

إن نخبة الثلاثينات قد وضعت كل آمالها في مشروع "فيوليت" ومن ثم اجتمعت فيما بينها في ما عرف "بالمؤتمر الإسلامي" لسنة 1936 الذي توجت أشغاله بتكليف وفد عن هذا المؤتمر لنقل مطالبها للحكومة الفرنسية، لكن مرة أخرى كانت الصدمة في

مستوى الآمال التي حركها هذا المشروع. غير أن النخبة لم تكن في مستوى حزب متماسك ولا حتى تنظيم قوي، وإنما كانت عبارة عن مجموعة من الأشخاص حاولوا أن يكون لهم رأي في الحقل السياسي الوطني واستغلوا الظروف العامة للبلاد وتعلقوا بمشروع "فيوليت" الوهمي، متيقنين بأنه لن يرى الوجود بسبب تعنت الإدارة الاستعمارية وموقف الكولون الرافض لأي شكل من أشكال الإصلاحات داخل الجزائر.

إن مشكلة "النخبة" كانت في تركيبها البشرية التي كانت تفكر بعقل فرنسي داخل ثوب عربي. و بالتالي فهي منقسمة بين الإسلام وفرنسا. وقد لخص هذا الوضع أحد أفراد هذه النخبة حين قال: "بأن جيلنا فرنسي فكرا، رغم أنه يحتفظ بدينه ولغته وعاداته ومع ذلك فإنه لا يتصور أي شكل سياسي غير الشكل الذي تمثله فرنسا". (18) و كان موقفهم من القضايا العامة للبلاد موقفا متناصفا بين إرضاء الإدارة الاستعمارية الفرنسية وعدم إغضاب المسلمين الجزائريين. بمعنى كانت سياستهم مبنية أساسا على المطالبة بالمساواة في الحقوق مع الفرنسيين و الاحتفاظ بأحوالهم الشخصية كمسلمين. إذن، بقيت فكرة الإدماج تشق طريقها عند النخبة عبر الحصول على الحقوق وليس عن طريق التجنس. وهذا في حد ذاته مأزق وضعت النخبة نفسها فيه وحاولت أن تخرج منه عن طريق تمسكها بمشروع "فيوليت" تارة، وبمطالب "المؤتمر الإسلامي" تارة ثانية، والتقرب إلى فرنسا تارة ثالثة. فما كانت نتيجة ذلك؟ الفشل بطبيعة الحال. لماذا؟ ببساطة هذا الفشل يعود أساسا إلى كون هذه النخبة أرادت أن تصبح فرنسية ومسلمة في نفس الوقت! وهل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون؟

لماذا النخبة لم تنجح حتى بعد أن استعملت الطرق والأساليب المدنية والسياسية؟ لأن نظرتهم كانت نظرة محلية لا تكاد تتعدى الجزائر العاصمة. وكان طموحهم محدودا في نظرة الكولون لهم. كما اشتد الصراع بين "النخبة الوراثة" (أو القديمة) و النخبة الجديدة (أو المثقفة) طيلة فترة الثلاثينات دون أن يحسم الأمر بينهما. وقد وصل الأمر إلى حد نعت "النخبة الوراثة" بـ"كلاب فرنسا". هذا الذي يبين لنا درجة العداوة التي وصلت إليها قضية النخبة والنواب في الجزائر.

كما تبادل "العلماء" مع بعض "النواب و النخبة" الاتهامات كل من قناعاته الإيديولوجية التي كانت أقرب إلى الواقع المعاش عند العلماء عنه من النخبة. غير أن هذه النخبة، ورغم كل هذه المواصفات إلا أنها، وجدت في الإسلام الإطار الذي تعمل

وتفكر فيه، سواء كان ذلك نابع عن اقتناع شخصي أو عن تحالف مصلحي. وفي نفس السياق، يبرز الكاتب الدور الذي لعبته شخصيتان بارزتان خلال الثلاثينات، تحت راية النواب و النخبة، وهما: "الدكتور محمد صالح بن جلول" و "الصيدلي فرحات عباس". الأول بدأ نجمه يسطع مند فشل حركة "الأمير خالد" في الجزائر. والثاني يمثل تمزق النخبة بين الانتماء للحضارة العربية الإسلامية و الانتماء لفرنسا. (19) إلا أن النقطة التي اشترك فيها الاثنان هي نكراهما لوجود "أمة جزائرية" و وجود وطنية جزائرية. ألا يعتبر هذا اعترافا ضمينا لميول كلاهما نحو فكرة "الجزائر فرنسية" قلبا وقالبا؟ هنا يمكننا أن نستثني "فرحات عباس" الذي بدأ شعوره يتغير تجاه "فرنسا الأسطورة" بداية من سنة 1937 و فشل مشروع "بلوم-فيوليت"، حين صرّح بأنه يناقش و يعرض مشكل الجزائر من زاويته الحقيقية أي من مستعمرة. وهذا الشعور بأنه "أهلي" و يقطن مستعمرة، جعله يغير من أفكاره، مما دفع بعدد من "النخبويين" إلى حذو طريقه. واستمرت مواقف النخبة المثقفة اتجاه المشاريع الإصلاحية التي كانت تعد بها فرنسا دائما، واستمر معها الجري وراء السراب إلى غاية حلول سنة 1939 و معها شبح الحرب العالمية الثانية دون أن تتغير مواقف فرنسا الرسمية و مواقف فرنسا الاستعمارية. في الأخير يوجه الكاتب لومه إلى فرنسا التي حسبته أخطأت في تقديراتها لما تجاهلت مطالب النخبة المثقفة و أيدت النخبة القديمة (الجاهلة و المتكوّنة من القياد ورجال المخزن والموظفون الإداريون) التي تزعمها المدعو: "عزيز بن قانة" الملقب بشيخ العرب!! أو لا ندري من أين اكتسب هذا اللقب. وإذا كان عمل هؤلاء مفهوما، فكيف يمكننا تفسير ما قامت به النخبة مع اندلاع الحرب العالمية الثانية لما سارعت إلى تأييد فرنسا و قام زعمائها بالانخراط في صفوف الجيش لتأدية واجب الوطن الأم؟؟؟

رابعا: "سعد الله" و الأوضاع الاجتماعية التي أرقت الجزائريين

بعدما أعطى صورة حية عن الأوضاع السياسية السائدة مع بداية الثلاثينات، يقدم المؤرخ صورة أخرى عن الأوضاع الاجتماعية التي كانت سائدة في تلك الفترة الزمنية. وكانت بداية هذه التوترات الاجتماعية انطلاقا من الاحتفالات التي بادر بها الفرنسيون في الذكرى المائة للاحتلال. من هنا جاشت في نفوس الجزائريين المشاعر

الوطنية و الدينية و ألهمتهم في مواصلة نضالهم "السلمي السياسي" لافتكالك و لو جزء من حقوقهم المسلوبة.

لقد حاولت عدّة أقلام و تيارات الاستثمار في التوتر الاجتماعي هذا. محاولة نسبه، تارة، إلى دوافع و أسباب اقتصادية و أخرى، إلى سياسية، و قد ذهب البعض الآخر إلى اعتبارها عرقية! و قد تحدثت في ذلك جرائد و مجلات و تقارير سرية، من صنع المخابرات الفرنسية. (20) و تكهنات في الأسباب الحقيقية لهذه الحقيقة الاجتماعية التي أدت إلى هذا التوتر الداخلي.

فالجرائد الأمريكية رأت بأن السبب يعود إلى الأوضاع الاقتصادية التي أدت إلى تدهور أحوال الجزائريين و أنه لا دخل للوطنية و لا العرقية في الموضوع. (21) كما يصفه أحد المعاصرين الفرنسيين، (22) بأنه نابع من شعور وطني محض. و يستدل في ذلك بما حدث في مدينة "قسنطينة" خلال الاحتفال بعيد فرنسا الوطني في 14 جويلية 1933، لما رفض أعيان المدينة حضور هذه الاحتفالات و أعادوا بطاقات الدعوة. و كذلك بانسحاب الجزائريين من الجمعيات الرياضية الفرنسية و تأسيسهم لجمعيات خاصة بهم. أما كاتب آخر معاصر، فيرجع أسباب هذا التوتر إلى كون القضية لم تصبح قضية الجزائر وحدها فقط، بل أصبحت قضية أفريقيا الشمالية بأكملها. و ذلك تحت تأثير الجامعة الإسلامية والحركة الوهابية. غير أننا لا نستطيع إهمال السبب الاقتصادي في هذه المعادلة الشائكة، لأن الجزائر عانت كثيرا من مخلفات الأزمة الاقتصادية العالمية لسنة 1929 حتى أن البعض تحدث عن "شبح المجاعة". و ما دام أن الاقتصاد الجزائري كان مرتبطا بالاقتصاد الفرنسي فحتمًا أن ذلك جعل الأمر يزداد سوءا بالنسبة للجزائريين. أضف إلى ذلك استغلال الكولون للمزارعين الجزائريين استغلالا يكاد يكون مفرطا.

كما ركز المؤرخ في هذا الفصل على الإجراءات التي اتخذتها السلطات الفرنسية لوضع حد لنشاط "العلماء"، الذين بدأوا في الإرشاد و الإصلاح و الدعوة إلى الدين الصحيح من خلال خطب المساجد و المدارس القرآنية و حتى النوادي الدينية. و في هذا الصدد أثارت قضية غلق المدارس، التابعة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عبر مختلف مناطق التراب الوطني، سخطا كبيرا في الأوساط الجزائرية التي استنكرت هذا الإجراء التعسفي التي اعتبرته تدخلا في الدين الإسلامي من طرف السلطات الاستعمارية.

كما تطرق إلى السفيرة التي قام بها وفد من النواب المنتخبين في المجالس المحلية إلى باريس، ليشتكوا الوضع الاقتصادي والاجتماعي الذي كانت تعيشه الجزائر وكذا الاحتجاج ضد إجراءات غلق المساجد والمدارس القرآنية ومنع "الشيخ العقبي" من إلقاء الدروس في مسجد العاصمة. غير أن مساعي الوفد باءت بالفشل ولم تلقى الأذان الصاغية من لدن السلطات الفرنسية التي رفض وزير داخليتها السيد: "شوطان" Chautemps استقبال الوفد الجزائري بحجة أنه غير مؤهل للقيام بهذه المهمة.

إن خيبة الأمل المريعة، هذه، جعلت النواب يقررون فور عودتهم إلى أرض الوطن تقديم استقالتهم من مهامهم. كما طلبوا من الجزائريين العاملين في المجالس المحلية تقديم استقالة جماعية احتجاجا على هذه الممارسات. فحدث في 3 جويلية 1933 أن قدّم حوالي 1600 جزائري استقالتهم في ولاية قسنطينة، و 100 جزائري في ولاية الجزائر، و 100 آخرون في ولاية وهران. هذه الاستقالة الجماعية أدت بالحاكم العام السيد "كارد" إلى دعوة النواب إلى التريث و سحب استقالاتهم واعداء إياهم بعدة إصلاحات، خاصة منها تحسين الوضع الاجتماعي للجزائريين وإعادة فتح المساجد في وجه العلماء و حرية التعليم وإلغاء قرار والي مدينة الجزائر ضد "الشيخ العقبي".

يستوقفنا الكاتب مطولا عند الأحداث التي شهدتها مدينة قسنطينة في شهر أوت 1934 والتي اصطدم فيها الجزائريون مع اليهود. ويتساءل المؤرخ عن ماهية هذه الأحداث، وعن أسبابها الحقيقية وعن نتائجها. ويفضي في النهاية إلى أن هناك العديد من الروايات في هذا الشأن. ويروي رواية اليهودي الذي دخل المسجد؟ أو جانبه للتبول أمامه؟ و ذلك أمام مرأى من المسلمين. (23) و كالمعتاد، حمل الجزائريون مسؤولية ما حدث، و اتهموا بالوحشية و بحسدهم ضد اليهود و حتى أنهم دبّروا هذه الأحداث مسبقا. كما قيل أن للحركة الإصلاحية يد فيما ضلع. و هناك من يحمل السلطات الفرنسية مسؤولية ما حدث، لأنه يرى بأنها لم تتدخل في الوقت المناسب لإيقاف النزيف الدموي المتبادل من الطرفين. والغريب في كل هذا أن هناك من حمل "هتلر" مسؤولية ما جرى من أحداث في مدينة قسنطينة، واصفا إياها "بالآثار الهتلرية في الجزائر". غير أن الكاتب اندهش لعدم وجود مصادر هامة تحدثت عن احتمال وجود علاقة بين ما حدث في قسنطينة و القضية العربية، إلا مراسل يومية "نيويورك تايمز" الذي أشار إلى أن القومية العربية تعتبر إحدى العوامل الهامة فيما حدث.

يشير المؤرخ في النهاية إلى الأحداث التي وقعت في كل من مدن: سطيف و مستغانم والجزائر وهران و سيدي بلعباس، وذلك مع بداية سنة 1935. و يضيف إلى أن أحداث سطيف فاقت بكثير أحداث مدينة قسنطينة لأن الجنود شاركوا فيها المدنيين. كما يضع لنا سورة الوضع العام في الجزائر مند مجيء الجبهة الشعبية إلى الحكم (اليسار الاشتراكي) سنة 1936، والتي استمرت خلالها الاضطرابات إلى غاية سنة 1939.

في النهاية يحدثنا الكاتب عن قضية أثارت الكثير من الجدل في الأوساط السياسية الجزائرية و الفرنسية و هي قضية اغتيال المفتي "محمود كبحول" و المعروف بابن دالي، و الذي نسب موته إلى تحريض من أحد زعماء جمعية العلماء و هو "الشيخ العقبي". و هذا المنعطف السياسي للقضية كانت له أغراض واضحة في تشويه صورة الرجل و سمعته و منه الإساءة إلى "العلماء" و الحركة الإصلاحية ككل. و اعتقل "العقبي" مع أحد أنصار الجمعية و المدعو "عباس التركي" و قدّموا للمحاكمة التي برّأهم في الأخير من كل التهم المنسوبة إليهم. غير أن ما هو واضح للعيان في هذه الظروف هو أنه لم تستطع أية حكومة فرنسية من الوصول إلى صميم مشكلة الجزائر، لسبب بسيط هو أن كل هذه الحكومات كانت منغمسة في مشاكلها الداخلية و مهتمة بالقضايا الدولية التي كانت توحى بأن إعصار عالمي جديد على الأبواب. (24)

الاستنتاج

لقد تناول هذا الكتاب، الذي يعتبر مجموعة حساسة في تاريخ الجزائر و التي أنجزها الأستاذ الدكتور "أبو القاسم سعد الله"، حقبة زمنية حساسة من تاريخ الحركة الوطنية الجزائرية خلال مرحلة هامة امتدت من نهاية الحرب العالمية الأولى إلى غاية الأحداث المؤلمة التي عرفتها الجزائر في الثامن مايو من سنة 1945. و ليس من باب المجاملة و لا من باب مخالفته الرأي، إن قلنا أن مؤلف "سعد الله" يزخر بالمادة التاريخية و المعلوماتية و في نفس الوقت هو نابع من تحليل ذاتي للأحداث و الوقائع التاريخية ، و هذا في حد ذاته ليس عيبا، بل بالعكس، ينظر الكثير من الباحثين في اختصاصات مختلفة على أنه لا يمكن تجريد أي باحث من ذاتيته تجاه ما يكتب أو ما هو بصدد إنجازه. لذلك نجد المؤرخ قد حاول قدر الاستطاعة إعطاء صورة حية وواقعية عن الأوضاع السياسية التي كانت سائدة في الجزائر حينها.

وقد حاول "شيخ المؤرخين الجزائريين"، كما يسميه البعض من المعاصرين، أن يلّم بجوانب عديدة من حياة الأحزاب السياسية ونشاطاتها وعلاقاتها فيما بينها، وفيما بينها وبين الإدارة الاستعمارية الفرنسية خلال حقبة هامة امتدت من نهاية الجرب العالمية الأولى إلى غاية أحداث الثامن ماي 1945. وقد ألحق بالكتاب مجموعة من الملاحق أعطت الكتاب محتوى العمل الأكاديمي الذي يجز صاحبه، دائماً، إلى طرح الأسئلة التي لم تطرح من قبل وبالتالى الوصول إلى نتائج لم تكن معروفة من قبل. وعليه، فالدراسة تعتبر لبنة تضاف إلى الصرح الكبير الذي يزخر به الحقل التاريخي الجزائري.

وإذا كان الفرنسيون يعتبرون أن كتاب "المسلمون الجزائريون وفرنسا 1871-1919" لصاحبه "شارل روبير أجرون" هو بمثابة "إنجيل" تاريخ فرنسا الاستعماري في الجزائر، فإن الجزائريين يدركون أن "أبو القاسم سعد الله" قد ترك لهم "صحيفتين" من الوزن الثقيل، أولاهما المجلدات الإثنى عشر من مؤلفه الأول، "الحياة الثقافية في الجزائر" والثاني، "الحركة الوطنية الجزائرية" في أجزاء الأربعة النهائية.

والذي يعطي لهذا الإنجاز، الذي قدمه "أبو القاسم سعد الله"، القيمة العلمية التاريخية، هو الكم الهائل من المصادر التي عمل عليها الباحث من أجل إضفاء الجدية والمنهجية العلمية التي قادته إلى بلورة كل هذه المعلومات بطريقة سليمة في قالبها التاريخي. ونخص هنا مصادر، "خوجة حمدان" المرأة، ط، باريس، 1833 و ترجمتها إلى اللغة العربية. و"ديستري ستيفان" صاحب كتاب "تاريخ الجزائر" ط4، تور، 1851. و"ابن أبي شنب" صاحب كتاب "وصول صحيح البخاري إلى سكان الجزائر" و مجموع وقائع مؤتمر المستشرقين الرابع عشر، الجزائر، 1905. و مصادر كثيرة أخرى و متنوعة إلى جانب المراجع القيمة التي ساعدت الباحث في إنجاز عمله و تحيينه و إصداره في حلته الجديدة، مما مكّنه من انتقاء "الأهم" فيها و تمحيصها و مقارنتها بما كتبه الأعلام التركية أو العربية أو حتى الأجنبية الأخرى.

كما أن تحكمه في اللغات الأجنبية، الإنجليزية على وجه الخصوص، و الفرنسية، ساعده على الإطلاع على المصادر الأرشيفية في مدينة "أيكس أون بروفونس" الفرنسية وفي بريطانيا ومكنته من تحضير رسالة الدكتوراه وإنجازها باللغة الإنجليزية في الولايات المتحدة الأمريكية و كذا إطلاعه على أعداد هائلة من المجلات و الجرائد باللغتين

الفرنسية والإنجليزية، الأمر الذي مكّنه من الإلمام بمصادر لم تكن في متناول العديد من الباحثين في حقل التاريخ الاستعماري.

الهوامش

- (1)- كواتي مسعود، "علاقة أبو القاسم سعد الله مع والدته"، ملتقى أبو القاسم سعد الله- نصف قرن من البحث و التأليف و الكتابة"، 14 ديسمبر 2014، جامعة سيدي بلعباس.
- (2)- هذه النسخة الجديدة صادرة عن دار البصائر في الجزائر العاصمة و في طبعها السادسة الصادرة سنة 2009، و التي يصف فيها صاحب الكتاب هذا الجزء الأول، المتكون من جزأين 1-2، بأن له قصة طويلة قد تشعبت منذ صدور الجزء الثاني سنة 1969 و الثالث سنة 1975 في نسختها القديمة و ذلك دون احترام المنطق الذي يقتضيه التسلسل في عملية الانتظام في كتابه الأجزاء. لمزيد من المعلومات ينظر إلى:
- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ط6، ج1، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 5.
- (3)- الجزأين المتداولان من قبل كان من إصدار الشركة الوطنية للنشر و التوزيع للجزء الثاني سنة 1983 في طبعته الثالثة، و المؤسسة الوطنية للكتاب للجزء الثالث سنة 1986 في طبعته الثالثة المنقحة.
- (4)- ذكر ذلك في الجزء الأول من كتابه: الحركة الوطنية الجزائرية، دار البصائر، مرجع سابق، ص5.
- (5)- لأكثر من المعلومات طالع الجزء الأول في كتاب: الحركة الوطنية الجزائرية..، دار البصائر..، مرجع سابق..، ص ص 27-36-79-214-215-231-232-
- (6)- في هذا الباب ، و لأكثر من المعلومات طالع الجزء الأول في كتاب: الحركة الوطنية الجزائرية..، دار البصائر، مرجع سابق، ص ص 99-102-116-130-138-155-166-174-182-196-268-297-300.
- (7)- هذه الفكرة لم تكن من الباحث "سعد الله" و إنما هي نتاج العمل الجبار الذي قدّمته المؤرخة الفرنسية "أنّي راي قولدزينغر" من خلال مؤلفها "المملكة العربية- السياسة الجزائرية لنابليون الثالث 1861-1870" و الذي هو في الأصل بحثها في أطروحة الدكتوراه تحت إشراف المؤرخ " شارل أندري جوليان"... لأكثر من الشروحات طالع مؤلف المؤرخة:
- Annie Rey Goldzeiguer, Le Royaume Arabe, la politique algérienne de Napoléon III 1861-1870, SNED, Alger, SD
- (8)- في هذا الباب ، و لأكثر من المعلومات طالع الجزء الأول في كتاب: الحركة الوطنية الجزائرية..، دار البصائر..، مرجع سابق..، ص ص 14-20-34-173-179-197-207-244-256-276-288-319-352-360.
- (9)- في هذا الباب ، و لأكثر من المعلومات طالع الجزء الأول في كتاب: الحركة الوطنية الجزائرية..، دار البصائر..، مرجع سابق..، ص ص 471-524-531-552-572..
- (10)- سعد الله أبو القاسم، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، دار البصائر، الجزائر، 2009، ص 7.

- (11)- أوردها "شارل روبير أجرون" على أنها إصلاحات إدارية من 1871 إلى 1881، حتى تصبح الجزائر فعلا، أرض فرنسية تسير بالقوانين الإدارية المدنية كما هو الشأن في مقاطعات المتروبول حيث يتم تعيين رؤساء بلديات ودوائر وولاية، الأمر الذي أدى في النهاية إلى توسيع المناطق المدنية شيئا فشيئا إلى غاية القضاء على النظام العسكري..لمزيد من المعلومات طالع:
- Ageron Charles Robert, Histoire de l'Algérie contemporaine, de l'insurrection de 1871 au déclenchement de la guerre de libération 1954, T2, PUF, Paris, 1979, pp 19-20.
- (12)- أصبح الأوروبيون يتفاخرون ويحذوهم "مركب التفوق" وكانوا متأكدين من أبدية فكرة "الجزائر الفرنسية" و الخاضعة للاستعمار.أنظر:
- Kaddache Mahfoud, Histoire du nationalisme algérien 1919-1951, T1, SNED, Alger, 1981, p 259.
- (13)- كان جلّ هذه الأزمات مرتبط ارتباطا وثيقا بالأزمة الاقتصادية العالمية لسنة 1929 التي ضربت البنى التحتية لكل طول العالم..
- (14)- كتب عنه "الشيخ البشير الإبراهيمي" مقالا مطولا في جريدة "الشهاب" يمدحه فيه ويكن له تقدير الجزائريين لموقفه هذا..طالع:
- جريدة "الشهاب"، جويلية 1936، ص ص 197-198.
- (15)- كان موقف الكولون واضحا من كلّ القضايا الإصلاحية التي كانت تهم حياة الجزائريين باعتبار أنهم رفضوا حتى الحديث عن كلمة "إصلاحات". وهذا الرفض ما هو سوى شعور الرفض و الحقد و تثبيتا لفكرة الاستعمار عندهم..
- (16)- منذ أن قدّم أول طلب، في 8 جويلية 1830 أمام لجنة مجلس الأمة- تحت إشراف لجنة تحقيق سياسية في الجزائر- و إلى غاية فشل مشروعه سنة 1938، لم يتوقف "فيوليت" عن الدفاع على مشروعه رغم كلّ العراقيل التي واجهها..لمزيد من المعلومات طالع:
- Ageron Charles Robert, Histoire de l'Algérie contemporaine., op.cit., pp 399-402.
- (17)- يظهر من فكرة المؤرخ، أن هناك نخبة تعلقت بمبدأ المساواة مع الفرنسيين و كان مشروع "فيوليت" يمثل أكبر اهتماماتها..ونخبة أخرى تعلقت بمبدأ "العروبة والإسلام"، وكانت جمعية العلماء في طليعة هذه النخبة بشعارها: الإسلام ديني والعربية لغتي والجزائر وطني...
- (18)- كان هذا اعتراف ضمني قدّمه السيد "محمد كسوس" في سنة 1931، وهو أحد أعضاء جماعة النخبة و النواب، يرى فيه أن هناك صراع نفسي كبير لدى أفراد هذه الجماعة بين "الإسلام" و "فرنسا" أفضى في النهاية إلى تلك المقولة..
- (19)- يذكر الباحث هنا، أن "فرحات عباس" نفسه كان متذبذبا بين فرنسا و الإسلام..لأكثر من معلومات ينظر إلى:
- أبو القاسم سعد الله، الحركة الوطنية الجزائرية، ج2، مرجع سابق...، ص 59.

- (20)- طالع "الجزائر خلال نصف قرن"، تقارير سرية أعدتها الاستخبارات الفرنسية في جانفي 1954 حول الأوضاع العامة في الجزائر..
- (21)- الظاهر أن صاحب المقال في الجريدة الأمريكية، لم يكن يدرك جيدا طبيعة الشعب الجزائري و ليس له أدنى فكرة عن قدرة زعماء الحركة الوطنية في تحريك الضمائر و الشعور القومي لدى الجزائريين. وإلا لما أرجع هذا التوتر للأسباب التي ذكرها. طالع المقال في:
- جريدة "نيويورك تايمز"، بتاريخ 6 سبتمبر 1933، ص 15..
- (22)- Deparmet Joseph, Les manifestations, In revue Afrique Française, N° du mois de septembre 1934, p 541.
- (23)- لمن يعرف الحساسية المفرطة التي طبعت، دوما، العلاقات بين المسلمين و اليهود، يدرك جيدا أن حيثيات الحادثة لم تكن لتؤدي إلى تلك الأحداث لوحدها. فهناك عوامل عديدة اجتمعت حينها لتنفجر في شكل أحداث عنيفة، حاول البعض إعطائها صبغة "معاداة السامية". إلا أننا نقول بأن الفجوة بين المسلمين و اليهود ازدادت اتساعا منذ صدور قانون الجنسية المعروف بقانون "كريميو" سنة 1870.
- (24)- يمكن إرجاع هذه النقطة إلى الأوضاع الأوروبية التي أثارها ألمانيا و إيطاليا بشكل خاص. خاصة عندما بدأ "هتلر" في المطالبة باسترجاع المناطق التي سلبت من ألمانيا بعد الحرب العالمية الأولى. وكانت نقطة تحول هذه العلاقات لما انسحبت ألمانيا من "عصبة الأمم" في 19 أكتوبر 1933، بسبب خلافها مع الحلفاء حول قضية التسليح و نزع السلاح. لمزيد من المعلومات ينظر إلى:
- Duroselle Jean Baptiste, Histoire des relations internationales de 1919 à 194, T1, 12^{ème} éditions, Armand Colin éditions, Paris, 2001, pp 161-162.